

الوطن العربي

بين الاتجاه القومي وواقع التجزئة

في الفترة بين الحربين العالميتين

د. خيرية قاسمية

جامعة دمشق

عاش العرب في اطار الدولة العثمانية الاجنبية عنهم ، لانها ظلت في اذهانهم استمرارا للتاريخ الاسلامي العام . واستمرت الوحدة قائمة نوعا ما خلال الحكم العثماني ، نظرا لوجود منظمة سياسية مركزية واحدة تجمع الاقطار العربية في آسية واقعا ، وفي افريقية اسما (١) . مع ذلك وجد عند العرب احساس غامض مستمر بانهم شعب يتميز عن سواه من شعوب الدولة العثمانية باللغة والتراث والتقاليد التاريخية المشتركة . واتسم هذا الاحساس منذ منتصف القرن التاسع عشر بطابع ثقافي اخذ يدعو الى احياء اللغة العربية والتاريخ العربي ويؤكد على الحضارة العربية (٢) .

ومع التدهور المستمر في قوة الدولة العثمانية في الجبهات الخارجية ، شارك المفكرون العرب في الحركة الاصلاحية الداعية الى تبني مبادئ جديدة ، تتيح للدولة استعادة القوة اللازمة لمواجهة التفوق الاوروبي ، ولكن دون تمزيق للوحدة العثمانية او فصل الاراضي العربية عن الدولة العثمانية (٣) ، بل بخلق التماسك في دولة متعددة الاجناس والثقافات ، وذلك لمواجهة سيطرة الغرب ، واستعادة العالم الاسلامي لعظمته المهددة بالعدوان الاوروبي (٤) .

ويعتبر الكواكبي ، نموذجا للتيارات الاسلامية المحددة ، وكان اكثر المفكرين تطرفا في انتقاد الحكم العثماني ، فانطلق يؤكد دور العرب الخاص ويطالب باستعادة مكانتهم في الخلافة (٥) . وترافقت الفكرتان الاسلامية والعربية عند الكواكبي ، ولكن

(*) اعد البحث للمؤتمر الثاني للعلاقات العربية التركية تصفية الترسبات الاستعمارية في تاريخ العلاقات العربية التركية (طرابلس ، الجماهيرية العربية الليبية ، ١٣-١٨ كانون أول ١٩٨٢ .

الواضح هو تأكيد على ضرورة القيادة العربية للفكرة الاسلامية دون قطع للوحدة العثمانية (٦) . كما ان نجيب عزوري الذي دعا الى تحرير العرب من الحكم العثماني قبل ارتباطا بالوحدة العثمانية بشكل ما ، فقد اقترح تقسيم الاراضي العربية الى قسمين : الجزيرة العربية ، التي هي مقر الخلافة ، وتصبح دولة اسلامية ، والهلل الخصب ويصبح دولة علمانية حديثه (٧) .

واخذ النفور القومي يستحكم بين العرب والحكام الجدد الاتحاديين بعد ١٩٠٨ ، حين بنى هؤلاء مبدأ العقيدة العثمانية لجمع عناصر السكان في الدولة ، وبالتالي لصهرهم في بوتقة الطورانية ، وكانت هذه المحاولة فاشلة نظرا لان التطورات المحلية في البلاد كانت تسير في اتجاه معاكس لا ياتلف مع هذه السياسة الجديدة ، كما ان اثاره المشاعر القومية كانت لعبة خطيرة في امبراطورية متعددة العناصر والقوميات (٨) . واثارت محاولات الدمج مخاوف العرب من فقدان هويتهم الثقافية وبدأت ردود الفعل العربية ضد حركة التتريك تظهر بالتدريج ، كما بدأت حركة التملل والتذمر من الحكم العثماني تتخذ طابعا سياسيا ، وظهرت على شكل جمعيات واحزاب عربية وضعت مناهج محددة واضحة (٩) .

في هذه المرحلة من الحركة القومية ، ورغم تعدد الشكاوى ، لم تراود العاملين فيها فكرة الانفصال ، ولم تظهر الا في نداءات متفرقة ، بل كان همهم طالب الاصلاح الذي يضمن للعرب كيانهم القومي في الدولة ويعيد للعرب دورهم الذي فقدوه وهم اهل له ، وكان ذلك حرصا على الوحدة الاسلامية العثمانية لا اضعاها لها وخوفا من الاطماع الغربية التي بدأت تنفذ الى اجزاء كثيرة من الوطن العربي . ولم يكن لدى عرب الدولة العثمانية في ذلك الوقت مؤهلات كافية للاستقلال ولا وسائل كافية لحماية الوطن من غارات دول الغرب (١٠) .

وتجسد برنامج العمل القومي في مؤتمر باريس ١٩١٣ بطلب اجراء اصلاحات في الدولة العثمانية لمصلحة الجميع ، واعادة الاعتبار الى العنصر العربي . وكان العرب على استعداد للتعاون مع الزعماء الاتراك لو قبل هؤلاء بعض التنازلات ، ولربما اعطى اساسا لقيام دولة ثنائية القومية (١١) .

والملاحظ ان الفكرة القومية التي تبنتها الجمعيات والاحزاب العربية قبل الحرب الاولى لم تأخذ شكلا محددا ، فلم توضع الاشارات المتكررة الى الامة العربية بتعابير قومية واضحة او نظرية فكرية منظمة . ولم يكن الخط الفاصل بين الفكرة العربية والفكرة الاسلامية واضحا . واستمد المفكرون العرب ، مسامون ومسيحيون ،

في هذه الفترة الالهام من اللغة العربية والتراث العربي لتطوير الوعي القومي والدعوة الى هوية عربية متميزة عن الهوية العثمانية ، ونظروا الى الاسلام باعتباره ثمرة من ثمار التراث العربي ، كقوة روحية وكمجموعة من القيم الاخلاقية الضرورية للحياة لا يمكنهم الانفصال عنه (١٢) .

وكان هذا العنصر الثقافي الهام هو الذي دفع المفكرين العرب لاعتبار الاسلام كجزء مكون للقومية العربية . ويمثل الشيخ رشيد رضا التيار الفكري الذي كان مخلصا لكلا الولائين الاسلامي والعربي مؤمنا ان وحدة احدهما تدعم الاخرى . وكان الهدف النهائي لفكر رشيد رضا السياسي هو اعادة بناء دولة اسلامية حقيقية ورفض كل المحاولات لخلق دول في العالم الاسلامي لا تقوم على وحدة الدين ، رغم ذلك فان عنصر الشعور القومي في كتاباته كان قويا . ونظرا للمكانة الخاصة التي يحتلها العرب في « الامة » يرى ان القومية العربية يمكن ان تتفق مع الوحدة السياسية بل ان احياء « الامة » يحتاج الى احياء العرب ، ولا يمكن للفكر الاسلامي ان يزدهر ما لم يزدهر اللسان العربي ، ولا يمكن الوصول الى وحدة « الامة » الا بوحدة اللغة . فاللغة العربية هي الخير المشترك لكافة المسلمين .

اقتصرت الدعوة القومية خلال الحكم العثماني على العرب المقيمين في منطقة الهلال الخصيب والجزيرة العربية (غربيا على الاقل) اي المناطق التي كانت لا تزال تحت الاشراف العثماني المباشر ، واعتبر بعض المفكرين ان مفهوم الوحدة يشمل سكان آسيا « الناطقين بالضاد » وبنوع خاص سكان سورية والعراق الذين كانوا اكثر استعدادا لتحقيق كيانهم السياسي واستقلالهم القومي . وظلت البلدان العربية في شمالي افريقية خارج نطاق اهتمامهم كقوميين عرب رغم كل العوامل الموحدة القائمة على عوامل الانتماء المشتركة للامة العربية من اطار تاريخي واحد وتراث مشترك ولغة مشتركة وشخصية عربية مشتركة ، ولم يكن ذلك الا بسبب احداث خاصة مرت في تلك الاجزاء من الوطن العربي في القرن التاسع عشر واول القرن العشرين وفصلتها عن الحكم العثماني واورقتها في قبضة التدخل الاوربي وابعدها عن الاندماج في الحركة العربية (١٤) .

ويمكن اعتبار موقف اوروبا من محاولة محمد علي توحيد جزاين من الوطن العربي ، ابان النصف الاول من القرن التاسع عشر ، بداية الشقاق العقائدي بين الاجزاء الاسيوية والافريقية وله نتائج بعيدة المدى لانه وقع في زمن كان العرب يجتازون فيه تجربة تجدد شامل (١٥) ، وفرضت اوروبا على مصر منذ هذا الحادث انقطاعا نسبيا

عن الاجزاء العربية الاخرى ، واخذ بعض المفكرين في مصر يبحث عن مشكلات بلده ، وزادت حدة التيار بعد الاحتلال البريطاني لمصر ١٨٨٢ وانفراد مصر بمعركة تحرير وطني متميزة ضد الاحتلال البريطاني اتجهت الى ان تصبح مصرية من الناحية السياسية والفكرية تنظر الى كفاحها وتنظيمها وعملها انه كفاح وتنظيم وعمل مصري (١٦) .

وكذلك الامر بالنسبة الى بقية الاجزاء العربية في شمالي افريقية التي وقعت في قبضة التدخل الاوربي ، الفرنسي خاصة ، بمزيج من القوة والدبلوماسية (١٧) (الجزائر ١٨٣٠ ، تونس ١٨٨١ ، ليبيا ١٩١١ ، مراکش ١٩١٢ - ١٩١٤) ، ووضع الاحتلال هذه البلدان امام قضية خاصة بها ، بعد ان كانت قد بدأت تسهم في التيار الرئيسي للفكر العربي كحركتي الاصلاح والتفكير العصري اللتين عرفتهما تونس اواسط القرن التاسع عشر وكان لهما تأثير في المشرق العربي (١٨) . وفصلت هذه الاحداث الخاصة الاجزاء العربية في افريقية عن الحكم العثماني وبرزت فيها شعورا وطنيا خاصا اشبه بدعوة « الجهاد » السياسي لصد التدخل الاوربي ، وامتزج هذا الجهاد طبعيا بالشعور الديني الاسلامي (١٩) ، واصبحت الجماهير الثائرة المنظمة تحت قيادة زعماء دينيين شديدة التعلق بالاسلام في اصفى مظاهره وانقاها ، اندفاعا منها في رد فعل الغاصب الاوربي « المسيحي » (٢٠) .

وقد ظلت مصر وسائر بلدان شمال افريقية تعلق آمالها حتى الحرب العالمية الاولى على الدولة العثمانية للتخلص من الاجنبي ، ولم تنظر الى الحركة الوطنية في الاجزاء الاسيوية ضد العثمانيين بعين الرضى ، ووقفت الى جانب الوحدة العثمانية ضد التدخل الاجنبي (٢١) . هذه الظروف الخاصة لا الشقاات العرقية ولا الخلافات العقائدية ولا النزاعات التاريخية ، هي التي عملت على انماء حركات وعقائد متضاربة في شطري العالم العربي الاسيوي والافريقي . وكان مقدرًا لهذه التيارات في المشرق والمغرب ان تلتقي لتصبح قوة موحدة ، لولا الظروف التي اكتنفت سنوات الحرب العالمية الاولى .

المواجهة الوطنية مع قوى الغرب المستعمر :

انتهت الحرب العالمية الاولى والغرب يسيطر على اكثر البلدان العربية في آسيا وافريقية : فقد تقرر خلال السنتين اللاحقتين للحرب مضيء المشرق العربي على اوجه بعيدة كل البعد عما كان العرب يرتقبونه ووجد الذين ايدوا الاتفاق مع بريطانيا اثناء الحرب ١٩١٦ ان التسوية مخالفة للتعهدات الفامضة التي قطعت لهم .

ووقعوا. في مازق لا مفر منه ، وهو المازق الذي يقع فيه كل ضعيف معتمد على دولة عظمى لتحقيق مآربه اذ يكون بحاجة الى قوة تلك الدولة وهو لا يستطيع ان يحملها على تفضيل مصالحه على مصالحها (٢٢) . وجرى التقسيم الاعباطي للمشرق العربي الى دويلات تقع تحت سيطرة الدولتين الكبيرتين ، فرنسا وبريطانية بما لهما من مصالح مختلفة وحتى متناقضة (٢٣) . واطلق على هذه السيطرة اسم « انتداب » وهو حسب ميثاق عصبة الامم « وصايات مقدسة للتحضر والتبذل » ولم يمنع رفض هذه الوصاية اسداءها جبرا .

اما مصر ، فقد خابت آمالها بعد ثلاث سنوات من المظاهرات والتوتر السياسي ومع ان بريطانيا وافقت على ان تغدو مصر دولة مستقلة ذات سيادة في الظاهر الا انها ظلت تحتفظ بقوانينها فيها وتشرف على شؤونها الخارجية . وخرجت الاجزاء الاخرى من شمال افريقية وهي لا تزال ترزح تحت حكم الدول الكبرى ، اسبانية وفرنسية وايطالية ، دون اهتمام كاف بآمال العرب وطموحاتهم بل كانت الدول الاستعمارية متأثرة بمصالحها الاستراتيجية والتجارية والثقافية (٢٤) .

واتبعت تلك الدول اهداف واساليب واحدة من افقار وحرمان وترفع عنصري واستغلال اقتصادي ، ولم يمنع اختلاف تلك الدول وتناقضها عن تعاونها وتضامنها ضد العرب .

لقد كان في الامكان لولا التدخل الاجنبي ، ان يعيد العرب بناء حياتهم كلها على انساق قومية شاملة ، وان تتخذ خريطة الوطن العربي شكلا مختلفا . ولو اتبعت للعرب ، على الاقل عرب المشرق ، الظروف المناسبة ، لتمكنوا من ملء الفراغ الذي احده زوال الدولة العثمانية بدولة عربية موحدة لها مقومات الدولة الكبيرة ومواردها وامكانياتها ، حتى ضمن الحدود التي طلبها الشريف حسين ، فقد كان انشاء الدولة العربية هدفا اساسيا من اهداف الثورة العربية لا يقل اهمية عن التحرر من الحكم الاجنبي ، ولكن الذي حدث هو « بلقنة » الوطن العربي (٢٥) .

وكان لاصرار الغرب على السيطرة السياسية وعلى انكاره حق العرب بالوحدة والاستقلال وسعيه لخلق دول عربية صغيرة ضعيفة يسهل السيطرة عليها ، ان تميزت العلاقات بين الغرب والعرب بموقف من الشك المتبادل وعدم الثقة وضعت بدورهما من قبل . ومهما كانت الدرجة التي نجحت فيها القوى الغربية في الحفاظ على ما تملكه ، احيانا بمنح تنازلات متأخرة ، وفي اغلب الاوقات باستثمار اتجاهات انفصالية بين العرب من اجل ان تكسب اعجاب او دعم فئة ضد اخرى ،

فإن هذه الحقيقة نان مقدرا لها ان تؤثر على موقف الشعب العربي نحو الغرب لمدة طويلة (٢٩) . وكان ما يجعل العرب ، وخاصة في المشرق منهم ، يحسون بهول صدمة اخضاعهم للاجنبي ، هو انهم كانوا جزءا من العنصر المسيطر في الدولة العثمانية وانهم لعبوا دورا كبيرا في حكومتها طيلة نصف القرن السابق لزوالها (٣٠) . وقد حلت الخيبة والمرارة في اعقاب الحرب العالمية الاولى محل التفاؤل المتوهج الذي كان يفعم الحركة القومية العربية في بداية انطلاقها ، وراح المراقبون الغربيون يعززون هذه الظاهرة الى ما يفترضونه في الروح العربية من عدااء غريزي للغرب ، ولكن هذا التأويل يعجز عن تفسير هذا الامر وهو : لماذا لم يحدث هذا العداء للغرب قبل ان يفرض الغرب على العرب استعمار (٣١) .

وتعبيرا عن الرفض التام لحكم القوى الاوروبية شهدت السنوات التالية لاعلان الهدنة ثورات شعبية وحركات وطنية توالى واحدة بعد اخرى للتخلص من الاستعمار الاجنبي ومقاومة اهراب قوات الاحتلال الغربية وانضوت تحت قيادة رجالات الثورة ، ولعل افضل تعبير عن ذلك ما قاله المارشال ليوتي في وصفه الوطن العربي بأنه « صندوق اصوات متجاوبة » (٣٢) . وكانت ثورة العراق ١٩٢٠ رد الفعل الاول الجاد لتسوية ما بعد الحرب ، وتبعها ثورات سورية ١٩٢٠ و ١٩٢٥ واستمر التوتر في مصر بعد ثورة ١٩١٩ وحتى عام ١٩٢٣ ، وظل تاريخ فلسطين حافلا في المشرينات والثلاثينات باخبار الانتفاضات ، وقامت في الريف المغربي ١٩٢١ اغنف ثورة على الغرب اجبرت الاسبان على اخلائه وكان هذا اكبر نصر حازه جيش عربي على جيش اوروبي ، واستمرت الثورة في ليبيا عشر سنوات . فعلى العرب ذلك وهم محرومون من جميع اسباب القوة ، تسيطر عليهم عوامل ومؤثرات داخلية وخارجية لا طاقة لهم بها (٣٣) ، ولكن القوة العسكرية الغربية كانت اضخم من طاقتهم فخضع العرب للقوة ومكن الغرب لنفسه في بلادهم . وكانت هناك ارضية مشتركة بين القوى الاستعمارية اذ كان لا يمكن لاي منها وحدها ان تحافظ على موقعها الاستراتيجي بدون الوصول الى اتفاق عمل مع القوى الاخرى (٣٤) .

وهكذا لم يقدر للثورات الوطنية ان تحقق نجاحا عسكريا ولم تصمد طويلا امام الضربات التي وجهتها اليها القوى الاستعمارية ، وطال امد الاحتلال العسكري حتى خيل للناس في فترة من الزمن انه احتلال ابدى لا طاقة للشعوب العزلاء بدفعه . ويعزو البعض النتائج الضئيلة التي اسفر عنها هذا الكفاح الى الاخطاء التي ارتكبت في التخطيط والاعداد من قبل الزعامات السياسية (٣٥) ، والى اسلوب البطش والتفتيت واضطهاد الزعامات الوطنية .

ويمكن ان يعزى فشل الثورات الوطنية الى التغير التدريجي في موقف الغرب المسيطر ، وموقف القيادات السياسية العربية : فقد واجهت الغرب المعارضة العربية للسيطرة الاجنبية ، ووجد ان سياسة القوة والاحتفاظ بالجيوش المحتلة والردع المسلح غالية التكاليف ضعيفة النتائج ، فلجأ الى التهدة والمفاوضة والتسكين في محاولة للتوفيق بين الراي القائل بكسب ثقة العرب وبين الانتداب والحماية ، فحصل على مكاسب اكبر مما حصل عليه عن طريق العنف (٣٦) .

وكان لادراك القيادات المحلية الوطنية التي شاركت في صفوف الحركة الوطنية خلال الحرب وبعدها ، حدود امكاناتها العملية في مواجهة القوى الاستعمارية وصعوبة التخلص من قبضة السلطة الاوربية ، وعدم قدرة تلك القيادات على فهم طبيعة الاستعمار الغربي ومتطلباته الاستراتيجية والعسكرية ، ان جعلها اكثر تقبلا لصيغة المشاركة (٣٧) . ولم يكن لهذه القيادات ان تختار بين الاستعمار وبين الاستقلال الحقيقي ، بل بين درجات وانواع مختلفة من السيطرة ، فاصبح مفهوم الاستقلال بعد عام ١٩٢٥ في العراق ومصر وسورية محدودا ، ويعني الحصول على الحكم الذاتي الداخلي والانتماء الى عصبة الامم . لكنه لم يكن لينفي بقاء رابطة دائمة مع الدول المحتلة على شكل معاهدة تكون اقل اذلالا من الوصاية المباشرة ، تعطي بعض الحرية السياسية ولا تمس بمصالح الغرب (٣٨)، دون ان يمنع ذلك بروز نقاط خلاف بين حين وآخر يتجلى بقيام النظاهرات والانتفاضات ورفض التعاون واثارة الراي العام .

واتخذ النضال في الجزائر وتونس طابعا سلميا عبرت عنه تلك الفئات المشبعة بالفكر الفرنسي ، واستهدفت اولا اسماع صوت البلدين في مؤتمر الصلح وكسب الاجزاب اليسارية في فرنسا ، ثم اقتصرت مطالبها على المساواة في الحقوق مع المقيمين الفرنسيين وفتح ابواب الوظائف للمواطنين (٣٩) ، ولم يكن مبتغاها الاستقلال التام بل مركزا افضل تحت نظام الحماية . الا ان هذه الفئات اتجهت بعد ان فقدت الامل « بالعدالة » اتجاها قوميا وبدأت في تنظيم حركات ثورية ضد الفرنسيين (٤٠) .

لقد خيل للساسنة « المعتدلين » في عالم ما بين الحربين ان السبيل الوحيد الذي يتيح للدول العربية فرصة الانضمام الى مجموع الامم هو اتباع اسلوب التريث والمهادنة والنفس الطويل والنقاش المنطقي مع ساسة الغرب وتصوير امانى العرب في صورة لا تثير مخاوف الغرب ومناشدة الوجدان الليبرالي الغربي والدعوة الى تقبل المنافع المادية للغرب ومحاولة اقتباس النظم والمؤسسات السياسية الغربية . ولم تكن هذه السياسة مقبولة لدى جماهير الشعب التي لم تعرف لها دورا غير دور النضال في سبيل ازالة النفوذ الاجنبي وتحقيق الاستقلال ، وساء موقف انصار

« الاعتدال » ولم تمنح الثقة الا للذين ربطوا اهدافهم بالمصالح القومية وهاجموا النفوذ الاجنبي بعنف (٤١) .

معوقات العمل القومي الوحدوي :

نكبت الامة العربية باستعمار دول عديدة انشبت مخالبه في مختلف الاجزاء في ازمة مختلفة وظروف متباينة واشكال متنوعة من الاستعمار المباشر الى الانتداب والوصاية ، وكان اخطر ما في هذا الاستعمار تجزئة البلاد الى دويلات وفصلها بحدود مصطنعة وحواجز اقتصادية هي حدود « الحبس الانفرادي » و « الاقامة الجبرية » (٤٢) . وجاءت هذه التقسيمات السياسية لتهدد الوحدة التي كانت قائمة نوعا ما في الفترة العثمانية ، ولتضع فكرة الامة العربية موضع التساؤل وتهددها بفكرة الامة السورية والمصرية والتونسية وغيرها (٤٣) .

رفضت بعض الافكار الغربية تحميل اوروبا مسؤولية تجزئة الوطن العربي الى مجموعة دول منفصلة ، وعبرت عن « خرافة » الوحدة العربية مع اعترافها بوجود روابط ثقافية وعاطفية وتاريخية بين العرب . ودعواها انه لم يكن بامكان أي سلطة عربية حاكمة ان تجمع البلاد العربية في دولة واحدة ، وان تحوز قبولا شاملا او تنشئ ادارة موحدة ، نظرا لعدم توافر شعور الالتحام السياسي ، ولان الولاء الاقليمي والمحلي لا يزالان اقوى من الشعور العربي العام (٤٤) . ولكن لا يشك احد ان المشاعر القومية التي كانت قد اخذت بالانتشار في الفترة التي سبقت الحرب كان بامكانها ان تصبح قوة موحدة لو تركت للتطور في ظروف طبيعية ، الا ان الدول الاوربية هي التي حالت دون قيام هذه الوحدة لانها تنظر للحركة القومية كمؤامرة لحرمانها من مصالحها (٤٥) ، ولان التجزئة كان من شأنها ان تخلق دويلات يسهل التحكم بمصيرها ومصير ابنائها .

أدت التقسيمات السياسية الى اقامة أنظمة ادارية وتشريعية وتربوية متباينة ، او بمعنى آخر نشوء نظام « الكيانات » ، حيث جعل لكل كيان نظام ودولة واسلوب في الحكم يختلف من مكان لآخر ، ولكل منها سلسلة من المعالم المادية تجسدت في رموز ملموسة وشعارات خاصة وجيوش خاصة وادارات وعملات وغيرها ، وبالنتيجة تهيئة البيئة الصالحة لتنمية الروح الاقليمية لكل منها بحيث اصبح اهالي كل دولة يعتبرون انفسهم « امة » قائمة بذاتها ومتميزة عن غيرها وتولد في كل واحدة منها نوازع المحافظة على الكيان السياسي القائم أو ما يسمى روح « الاقليمية » التي ليست الا مجموعة من التوازع تعمل في اتجاه يخالف مقتضيات الوحدة العربية ، ويعرقل

انطلاقها . وزاد في ازدهار الولاءات الاقليمية ان الاقطار العربية كانت قد وقعت تحت حكم دول اجنبية شتى تختلف لغاتها وتباين مصالحها وتتغير انظمتها وقوانينها وثقافتها ، وانعكس هذا التباين على الاجزاء العربية في مرحلة تكونها (٤٦) .

وقد وجدت مصالح قوية استثمرت الحدود السياسية ، التي هي من خلق اجنبي استعماري ، وارتبطت بدوام الكيانات الاقليمية : يمثلها فريق من الساسة استمدوا حياتهم من حقيقة وجود الكيانات ، وتقاعسوا بعد تسلم المسؤولية عن هدف الوحدة ، ومنهم تجار حصلوا على دخلهم من وجود حواجز جمركية وغيرها من عوامل التجزئة وضمّنوا دوام المصالح الاجنبية والهيمنة الاستعمارية على ثروات المنطقة (٤٧) . وبتأمر قوى خارجية مع قوى داخلية على الحس القومي أصبحت العلاقات قائمة بين الكيانات العربية على اساس المنافسات بين الاسر الحاكمة وعلى النفوذ على الكيانات العربية المجاورة (٤٨) .

وكان من الوسائل السياسية التي اتبعتها الدول الاجنبية لتقوية النزعات الاقليمية هي اثارة وتشجيع الانقسامات بين الفئات العرقية والدينية المختلفة وحماية العناصر الموالية من اقلية دينية وطائفية وتدعيم المواقف الانعزالية الانفصالية وفكرة القوميات الضيقة ، وتقوية اللغات واللهجات المحلية على حساب اللغة الام والهدف من ذلك توطيد سيطرة تلك الدول وعرقلة الوعي القومي (٤٩) .

وكان اخطر ما في التجزئة السياسية هي تجزئة الحركة العربية ايضا فتوزعت قوة المقاومة الى جبهات عديدة القي على عاتق كل منها مهمات مباشرة تختلف الواحدة عن الاخرى ، وشغلت بمشاكلها الخاصة وقضاياها المحلية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، « فهانت نواها مادة ومعنى وهان عليها بالتالي تطبيق خطط الاستعمار » (٥٠) . ونظرا لان كل جزء عربي اخذ يكافح الاستعمار منفردا وبأوقات مختلفة تبعا للفرص المتاحة ضمن مشاكل الاستعمار المفروض ، اصبح مركزا لوحدة وطنية خاصة معتمدة على الوطن الجغرافي الاقليمي ، دون ان تدرك الاوطان الصغيرة انها جزء من وطن اكبر هو الوطن العربي وان الوطنيات المحدودة جداول من قومية كبرى (٥١) .

النضال من اجل الوحدة :

لقد تعثر الطموح التوحيدي بسبب المشاكل السياسية الناجمة عن الحدود التي فصلت كل قطر عربي عن جاره ، وما تولد عن ذلك من مصالح اقليمية ذاتية باعدت بين العرب ، وجعلت من المصير العربي الموحد تمنيات واحلاما . الا ان المحن ،

عوض ان تفشل المطامح العربية ، زاحها متانة ورسوخا ، وراى شكيب ارسلان في تلك المحن خيرا عائدا على الوطن العربي (٥٢) : ذلك انه تحت وقع النكبات والنكسات يزداد الشعور بان المصلحة المشتركة تستلزم قيام تعاون وثيق ينظمه عمل موحد (٥٣) . وحين كان الوطن العربي تحت السيطرة الاجنبية لم يشك أي قومي عربي بصلاح قيام الوحدة ، وحدة تتجاوز الحدود الضيقة الى حدود اوسع دفاعا عن ذات الامة ووجودها ضد عدو مشترك ، لان التفرقة كانت العامل الاساسي في ضعف العرب وفي جعلهم فريسة سهلة للحكم الاجنبي الذي يحول بدوره دون قيام الوحدة .

وهكذا ، ورغم كل المعوقات ، وردا على واقع التجزئة والاحتلال ، كانت محاولة ابقاء فكرة الوحدة حية ، هي احدى سمات العمل القومي في الفترة بين الحربين ، شغلت الجماهير والزعماء وقادة الفكر (٥٤) . وتجلت هذه المحاولة في تبادل المساعدة والعطف بين الاجزاء العربية في صراعها مع الاجنبي ، واصبح الحدث السياسي الحاسم في قطر ما يثير الجماهير في الاقطار الاخرى اثارا عفوية وبدون تفكير في الحدود والكيانات القطرية ، فتهب للعمل ولو بمجرد التظاهر والاضراب وجمع التبرعات او في انتفاضات متتالية ومتجاوبة مع بعضها ، لان هذه الجماهير تحس وتدرك انها جماهير واحدة رغم اختلاف الانظمة وارتفاع الحدود ، واصبحت هوية النضال الوطني هوية عربية ونال بهذه الهوية كل مناضل عربي الحق بان ينضم الى المواقع الوطنية في أي جزء آخر (٥٥) .

صحيح ان كل قطر كان يناضل على حدة في سبيل التدرج نحو الاستقلال وله مع العدو الاوربي معاركه القاسية وذكرياته الحية وله تضحياته ، الا ان دعاة القومية والوحدة وجدوا في النضال في سبيل الوحدة امتدادا للجهد في سبيل الاستقلال (٥٦) ، وشعر زعماء الحركات الوطنية وهم يناضلون في سبيل الاستقلال المحلي ان الحاجة ماسة لاعتبار المنطقة العربية وحدة متكاملة ، فجعلوا همهم ، في كل ما يصدر من توجيهات ونداءات التشديد على وجود الامة العربية وعلى وحدتها ، وان النضال في سبيل الاستقلال (او على الاقل الحكم الذاتي) هو خطوة ضرورية اولى نحو تحقيق الوحدة . وكان من المفهوم ضمنا ان استقلال أي جزء عن المستعمر هو توحيد تلقائيا مع غيره ، وان كل دولة عربية ستستخدم ، حين تتحرر وتستقل ، حريتها واستقلالها في مساعدة الدول التي لاتزال في مرحلة النضال ، وفي توثيق علاقاتها بالدول التي تكون قد تحررت ونالت استقلالها (٥٧) .

وكان المظهر الثاني لمحاولة ابقاء فكرة الوحدة حية ، هو القيام بتأسيس عدد من الاحزاب القومية ذات امتدادات فوق الحواجز والحدود وجهت دعوتها الى ابناء

الجيل اللاحق من القوميين وكان لها عضوية مشتركة بين البلدان العربية كما ان لها عقيدة قومية وبرنامج عمل قومي ، بعد ان لم تعد وسائل التنظيم والعمل القديمة ترضيها ، كانصراف الزعماء المحليين ، رغم اهتمامهم المبدئي بالوحدة العربية ، الى القضايا المحلية والاتفاقات مع الدول المسيطرة (٥٨) . قامت هذه الاحزاب الجديدة الى جانب الاحزاب والتكتلات القطرية التي شهدتها الساحة العربية في الفترة بين الحربين ، والتي كانت اقليمية المبادئ والاهداف والنشاط ، رغم حديث بعضها عن الامة العربية والوحدة العربية (٥٩) .

في مطلع الثلاثينات قامت العناصر القومية من زعامات حزب الاستقلال « القديم » (الذي تشكل ١٩١٨ كواجهة علنية للعربية الفتاة) ، قامت بمحاولة جديدة لتجميع الصفوف بعد ان اثار قلقها انشغال الاجزاء العربية بقضاياها المحلية واستشراء الاتجاهات الاقليمية ، وانتهزت فرصة انعقاد المؤتمر الاسلامي في القدس (كانون اول ١٩٣١) لتتفق خلاله على « ميثاق عربي » يؤكد وحدة الامة العربية ويرفض التقسيم المصطنع لاقليمها ، ويرى ضرورة العمل على تكريس الجهود ليحقق هدي الاستقلال والوحدة (٦٠) . وشكلت لجنة تنفيذية لوضع خطة العمل في المستقبل فأقرت الدعوة لعقد « مؤتمر عربي عام » ، لمناقشة افضل السبل لتحقيق هذه الغاية التي تضمنها الميثاق العربي ، وتبنى الملك فيصل (ملك العراق) فكرة عقد المؤتمر بعد ان اتاحت له معاهدة ١٩٣٠ فرصة اكبر للاهتمام بالقضايا العربية ، وارسل بمبعوث له الى القدس ومصر للدعوة اليه . ولكن جهوده اصطدمت بمعارضة شديدة من جانب بريطانية ، وانهارت اول محاولة جديده بعد الحرب العالمية الاولى لترتيب عقد مؤتمر عربي عام لبحث سبل تحقيق الوحدة العربية ، وكان موقف بريطانية السلبي من اهم اسباب هذا الفشل ، بقدر ما أسهم فيه التمزق العربي وغلبة الاطماع الشخصية للزعماء العرب أنفسهم (٦١) .

وتعتبر « عصبة العمل القومي » مثالا آخر للاحزاب السياسية التي قدمت برنامجا قوميا عربيا . ولدت العصبة بمبادرة من بعض الشباب المثقف من سورية ولبنان الذين دعوا الى مؤتمر عقد في قرنايل (لبنان) ١٩٣٣/٨/٢٤ ، اصدروا بعده بياناً مفصلاً ، اوضحوا في مقدمته ان هدفهم انقاذ العرب من التدهور ، والانحلال السائرين اليهما . وكان للعصبة هدفان : هما سيادة العرب واستقلالهم المطلقين والوحدة العربية الشاملة . وقد تبينت العصبة ان نوال السيادة والاحتفاظ بها موقوف على وحدة البلاد العربية ، كما ان ازدهارها الاقتصادي ونهضتها الاجتماعية متوقفان عليها ويستحيلان بغيرها . لذلك اعتبرت « الوحدة العربية » القائمة على

وحدة التاريخ والتقاليد والعادات واللغة والغايات والوضع الجغرافي ، اعتبرت جزءا غير منفصل عن هدفها في السيادة والاستقلال . ودعت الى مقاومة كل عصبية غير العصبية القومية والقضاء على العصبية العائلية والمذهبية او المحلية . وادركت خطر الاستعمار وخبث خطته وبحث في وسائل مقاومته ، ورات « بحكم منطق الدفاع تنظيم جهود العرب في كل صقع وتوحيد حركة المقاومة القومية في الاقطار العربية والقضاء على النعرات الاقليمية بمعناها القاصر ووصل ما انقطع من الروابط بين الصفوف المجاهدة في كل قطر » . وهذا يقضي اشراك الشعب وطبقاته بأسرها والتعاون مع الهيئات العربية المخلصة العاملة في مختلف الاقطار ، ولا تعني العصبية من خطتها في توحيد حركة المقاومة ترك الجهاد المحلي ، « فتعدد المستعمرين وتعدد طرائقهم الاستعمارية في مختلف الاقطار العربية جعل لكل قطر ظرف خاص يتطلب وضع برامج محلية تراعى فيها الظروف القطرية ضمن نطاق ضوابط محدودة تمنع خروج العمل السياسي عن الاهداف العليا » ، فالعمل القومي ، بنظر العصبية ، « يستهدف تشكيل جبهات جهاد موحدة الجهد متساعدة تابعة لقيادة واحدة تجعل القضايا القطرية او الاقليمية اجزاء للقضية العربية الكبرى » .

وقد سجلت العصبية في سياستها الاقتصادية تطورا كبيرا آنذاك اذ اعتبرت البلاد العربية وحدة اقتصادية ودعت الى توحيد الجهود الاقتصادية في مختلف الاقطار العربية وضم رؤس الاموال الصغيرة للقيام بمشاريع كبيرة ، وازالة الحواجز الجمركية بين البلاد العربية عن المنتجات والصناعات العربية ، واعتبار مصلحة المجموع فوق المصالح الخاصة ، ونظرا لان ظروف العرب الاقتصادية غير واحدة ، وهي خاضعة للظروف السياسية ، فقد ارتأت العصبية « وضع برامج اقتصادية لكل قطر تستلهم من ظروفه وقابلياته شرط ان لا تخرج على المبادئ العامة » .

لم تكن فكرة الوحدة شاغل السياسيين وحدهم ، فقد شهدت فترة الثلاثينات اهتماما متزايدا لدى قادة الفكر لتحديد اسس ايدولوجية للفكرة القومية ، ودراسة ميزاتها وبيان مقوماتها وتحديد اتجاهاتها واهدافها ووضع رؤية واضحة للمستقبل . ومنذ نهاية الحرب وحتى مطلع الثلاثينات لا نجد الا مادة قليلة في كتابات بعض المفكرين البارزين حول الفكر القومي العربي تطالب بالاستقلال والوحدة العربية (٦٢) . الا انه منذ منتصف الثلاثينات جاء رد المفكرين على التجزئة والاحتلال ، الظاهرتين المترابطتين ، بتعميق مفهوم القومية العربية وبتحديد معالم النظرية القومية . وجعل قسطنطين زريق « وضع فلسفة قومية مؤثرة فاعلة تصور روحها ، وتحدد اتجاهها ، وتنصب لها الاهداف . وتعين لها السبل والوسائل » شرطا اساسيا لقيام

اية نهضة قومية ، ذلك انه « ما من نهضة قومية تحررية قامت في العالم الا وسبقها او لازمتها نهضة فكرية مهدت لها الطريق ورسمت امامها الغاية واوضحت لها المعالم والحدود ، وانه اذا كان للنهضة القومية العربية ان تستكمل شروطها وتؤتي ثمارها فلا بد من بناء الاساس الفكري الذي تقوم عليه هذه النهضة القومية ، وتحديد معنى الامة والقومية واثبات خصائص الامة العربية ومميزاتها واطهار مقامها الفريد بين الامم والنصيب الذي كان لها في الماضي والذي يرجى لها في المستقبل في تقدم التمدن والحضارة البشرية » .

استقى المفكرون العرب في صياغة مسلمات القومية العربية من مصدرين : الاول الفكر الغربي ، ليس اعجابا بمفاتيح ثقافة مجتمعات متفوقة او مرآة تعكس مقولات الفكر القومي الغربي بل لفهم التجارب الوجدانية والفكر القومي في الغرب وتطويعها لخصوصيات الوضع العربي (٦٤) . اما المصدر الثاني ، وهو الاهم ، فهو تراث الماضي من لغة وتقاليد وتجارب تاريخية بوصفها القاسم المشترك بين ابناء الامة العربية . واختيار هذه المعايير لم يكن اتفاقا ، القصد منه ابراز العوامل المشتركة التي يمكن ان تفضي اكثر من غيرها الى التقريب والتأليف بين ابناء الامة من جهة ، والاستغناء عن العوامل المفرقة التي تغذي الشحناء من جهة اخرى (٦٥) . فاللغة العربية هي الدعامة الرئيسية للقومية العربية التي تتخطى الحدود القطرية وتشكل عامل اتصال رئيسي ووحدة في الشعور والتفكير ، والتاريخ هو تعبير الامة عن ذكرياتها ووعيتها لذاتها يخلق نوعا من القرابة المعنوية بين ابناء الشعب العربي ، والتاريخ الحي الذي تذكره الامة هو الذي يمثل امجاد الماضي ويخلق الامل بالمستقبل ، ولن تستعيد امة ووعيتها القومي الا بالعودة الى تاريخها . فاللغة الواحدة والتاريخ المشترك هما ينبوع للذكريات التاريخية وللشعور بالاعتزاز وللتطلع نحو تنسيق الجهود ، وهما ركنا الوجود القومي لاية امة كما اوضح ذلك ساطع الحصري (٦٦) ، الذي وضع نظرية منهجية ومنسجمة في القومية العربية باسلوب اكثر وضوحا واتساقا من اسلوب أي كاتب آخر ، ونذر نصف قرن من حياته العريضة (١٨٧٧ - ١٩٦٨) في سبيل قضية واحدة هي الدفاع عن الفكرة القومية العربية ودراسة قضاياها في اطار ظواهر انسانية اكثر شمولاً . ولا ينفي هذا اهمية مساهمة عدد كبير من المفكرين من امثال محمد كرد علي وشكيب ارسلان وقسطنطين زريق ، في تعميق المفهوم القومي عند العرب ، الا ان الحصري كان المفكر الاكثر شمولاً والداعية الاكثر استمرارية والتزاما بمقومات النظرية التي وضعها ، ففي حين ان معظم من سبقه من مفكرين مشرقين في بداية القرن العشرين اختلفت لديهم فكرة العروبة بالدعوة للجامعة الاسلامية ثم بالدعوة للامركزية الادارية والسياسية ، وفي نهاية الحرب الاولى بالدعوة لانشاء دولة عربية مقتصرة

على المشرق كان الحصري اكثرهم حسما ، اذ اتجه ليحدد بوضوح الاجابة على عدد من الاسئلة النظرية المطروحة : ما هي القومية ؟ ما هي مقومات الامة العربية ؟ ما علاقة القومية بالدولة ؟ اين تقف القومية العربية من الدعوات الدينية والاممية والاقليمية (٦٧)؟

وتستند آراء الحصري في طبيعة القومية وعناصرها على فرضية اساسية هي مفهومه للعرب على ان يضم كل من يتكلم العربية ، وآمن بأن فكرة القومية العربية تعني الايمان بوحدة هذه الامة من المحيط الى الخليج ، فالعرب امة واحدة ويجب اقامة دولة عربية واحدة وسعادة كل امة ان تعيش في دولتها القومية (٦٨) ، واعتبر الحصري ان توحيد الثقافة من اهم العوامل التي تهىء سائر انواع التوحيد فكتب : « اضمنوا لي وحدة الثقافة وانا اضمن لكم كل ما بقي من ضروب الوحدة (٦٩) » ، وظل يرفض الاعتراف بالحدود والكيانات التي اعتبرها وليدة الانقسام والمناورة والمساومة . واضطر الحصري من اجل اثبات نظريته الى ان يخوض معارك فكرية مع غير واحد من المفكرين العرب في مصر ولبنان الذين يعارضون الوحدة العربية كانتقاده « القومية السورية » والمدافعين عن قومية مصرية صرفة (٧٠) . وكان من النتائج المنطقية لنظرية الحصري في القومية العربية ، التي ارسيت على ارضية ثقافية وتاريخية ، ان تشمل الوحدة العربية المنشودة مصر وسائر بلاد شمال افريقيه (٧١) .

وبلا حظ ان مفكري القومية العربية في تأكيدهم على الروابط القومية التي توحد العرب بغض النظر عن معتقداتهم الدينية ، كانوا يرغبون في تجريد الغرب من سلاحه في اثارة التعصب الطائفي وحماية الاقليات الدينية ، ومواجهة الصهيونية على اساس قومي لا على اساس العداة الديني . الا انه كان لا يمكنهم فصل القومية عن الاسلام تماما ، فالاسلام هو الذي وحد العرب واعطاهم شريعتهم وثقافتهم وهو جزء من تراثهم الروحي التاريخي وموضع اعتزازهم ، ومن عالج هذه الفكرة أدرك اهمية الاسلام في الحركة القومية العربية . ويرى زريق ان القومية الحقيقية لا يمكنها بحال من الاحوال ان تناقض الدين الصحيح « اذ ليست في جوهرها سوى حراسة روحية ترمي الى بعث قوى الامة الداخلية وتحقيق قابلياتها العقلية والنفسية ، ولكي تقدم قسطها من تمدن العالم وحضارته . فلا بد للقومية افن - وهي حركة روحية من ان تلاقي الدين وان تستمد منه القوة والحياة والرفعة والسمو . كذلك هي القومية العربية في وجهها الصحيح لا تعارض ديننا من الاديان ولا تنافيه ، بل تقبل على الاديان جميعا لترتشف من منابعها الفياضة كؤوس الصفاء والخلوص ، والقوة والخلود ... لذلك يترتب على القوميين العرب ان يعودوا الى مصادر دينهم ، فيستمدوا منها السمو النفسي والمتانة الروحية .. كذلك يجدر بهم ان يربطوا

ما يستمدون من هذه المعاني الروحية بالفكرة القومية التي يعيشون لها ويقفون نفوسهم على تحقيقها « (٧٢) » .

ولم يشتمل تحديد المفكرين لمفهوم القومية في تلك الحقبة على افكار حول الاصلاح الاجتماعي والتنمية الاقتصادية ، وغابت عن الفكر القومي القضية الاجتماعية والاقتصادية . ويمكن تفسير ذلك ان المهمة الرئيسية للقومية العربية كانت مقاومة الاستعمار للحصول على الاستقلال السياسي ثم الوحدة القومية ، وكان من المسلّم به ان الاصلاح الاقتصادي والاجتماعي ، وان كان بحد ذاته امرا مرغوبا فيه يمكن ويجب ان يؤجل الى ما بعد الاستقلال الذي يمكن تحقيقه بوسائل سياسية (٧٣)

الموقع الجغرافي لانطلاق الجهد وحدوي :

ظل مفهوم الوحدة العربية حتى اواسط الثلاثينات هو مفهوم الفترة الممتدة بين ١٩٠٨ - ١٩٢٠ ، اي اعتبار الامة العربية لا تشمل مصر وبلدان شمال افريقية وحتى في هذه الاجزاء كان الامل ببداية متواضعة لتحقيق الوحدة تبدأ بتوحيد سورية الطبيعية ويتبع ذلك اقامة اتحاد بين سورية والعراق ، ومن ثم انشاء ترابط من مع اقطار عربية اخرى ، وكان هذا هو برنامج المؤتمر السوري ١٩٢٠ كمرحلة اولى وليس على حساب الوحدة القومية (٧٤) .

وبقيت سورية مركزا قويا للحركة العربية حتى ١٩٢٠ امتدادا لدورها اواخر الحكم العثماني ، وبعد ميسلون وجه العرب انظارهم شطر العراق الذي اطلقوا عليه اسم « بيامونتي العرب » وعقدوا على مساعدته الادبية والمادية آمالهم لتحقيق استقلالهم ووحدتهم . واصبحت بغداد ، كما كانت دمشق ، ملتقى لزعمائهم ومفكرهم ، وكان عددا كبيرا منهم لا يزال يعتبر فيصل زعيما لحركتهم (٧٥) ، بالاضافة الى ان العراق كان قد حصل على استقلال نسبي قبل غيره ، وكان القوميون العرب يعتبرون النظام القائم في العراق خلقا بريطانيا مصطنعا وان النظام العربي الحقيقي هو الذي يصبح فيه العراق جزءا من دولة عربية موحدة (٧٦) .

واخذت العراق المبادرة في السياسة العربية حيثما تمكنت من ذلك ، ووضعت في بغداد في تلك الفترة خطط وبرامج ترمي الى استرداد استقلال سورية واثنا فلسطين وتأمين حرية البلاد العربية ووحدتها ، وكانت جميع الجهود التي بذلت في تلك الفترة ترمي الى ايجاد مركز قوي للاشعاع العربي يجذب الامة اليه (٧٧) . وعارضت كل من بريطانيا وفرنسة والصهيونية أي جهد وحدوي ، وحالت بريطانية

دون تبني فيصل الدعوة الى عقد مؤتمر عربي عام في بغداد ١٩٣١ قد ينبثق عنه مشروع لتوحيد المشرق العربي تحت الزعامة الهاشمية (٧٨) ، وذلك لتخوفها التقليدي من وحدة عربية اشمل ، ولخشيتها من ان يصل الى السلطة دعاة القومية العربية « المتطرفة » واشارت في نفس الوقت الى انها تنظر بعين العطف لاي تعاون بين الدول العربية في المجالات الثقافية والاقتصادية (٧٩) .

وبعد وفاة فيصل ١٩٣٣ توقف مؤقتا الرعاية العراقية لنشاطات الوحدة العربية ، وبدأت الزعامة السعودية تفرض نفسها على مجريات الامور في المنطقة العربية وتجذب فريقا من القوميين العرب ، وبعض المصلحين من مدرسة رشيد رضا (٨٠) ، وتطرح اساليب جديدة من أجل التضامن العربي . ورحب القوميون العرب باللون الواحدي لتحركات الملك عبد العزيز بن سعود وعلقوا عليها الآمال فقد وحد الجزيرة العربية ، وعقد معاهدات اخوة وتحالف مع كل من العراق ١٩٣٦ واليمن ١٩٣٧ وبدأ بعد ذلك يتخذ دورا قياديا في الشؤون العربية (٨١) .

عاد العراق بعدة فترة توقف الى قيادة الحركة العربية منذ منتصف الثلاثينات بعد ان أصبحت مجموعة من الضباط بقيادة صلاح الصباغ القوة الموجهة في بغداد ، وكانوا هم ومؤيدوهم خارج وداخل الجيش ، يمثلون الجيل الجديد من القوميين العرب الذين يتوقون للتغيير بعد ان ساء لهم فشل الحكومات في الارتفاع الى مستوى التوقعات القومية ، وتوجهت انظارهم الى الوطن العربي كله . وناصر الرأي العام فكرة الوحدة وأصبح ينظر الى العراق وكأنه البلد المؤهل للعب دور « بروسيا العرب » لتحقيق الوحدة العربية والاماني القومية بالقوة العسكرية . وانتشرت هذه الافكار على نطاق واسع في الاوساط المدنية والعسكرية عن طريق الجمعيات القومية وعلى ايدي المعلمين الوطنيين في المدارس ، ونشرت حولها الكتب والمقالات . وافضل شرح لها ما جاء في كتاب بعنوان « هذه اهدافنا ، من آمن بها فهو منا » ، نشره في بغداد نادي (المثني) وهو تنظيم قومي اسس ١٩٣٧ عبر ايدولوجيا عن فكرة القومية العربية ودعا الى سياسة القوة لمجابهة الامبريالية والدفاع عن شرف الامة حتى الشهادة (٨٢) .

وظلت مصر ، رغم مكانتها في الثقافة العربية واهميتها السياسية ، ولجوء كثير من قادة الحركات الوطنية اليها ، ظلت كما كانت قبل الحرب ، منصرفة الى قضية استقلالها الوطني العربي الذي هو وليد ظروفها الخاصة ، وسادت العزلة تفكير قطاع كبير من الزعامة السياسية والثقافية لفترة طويلة (٨٣) . وأقلقته هذه العزلة كثيرا من زعماء الحركة العربية وكانوا على اقتناع منذ اجتماعات « المنتدى

الادبي « في استامبول قبل الحرب ، بان الامة العربية في حالتها الحاضرة لا يمكن ان تسترد مكانتها في التاريخ اذا ظلت مصر بعيدة عنها ، لان مصر اكثر الاقطار العربية سكانا واعظمها ثروة واشدها رقيا وحضارة وهي واقعة في قلب البلاد العربية تملك امكانيات وكفاءات ليست لغيرها (٨٤) . وبدأوا في تعميم الفكرة العربية وترسيخها في مصر بالاعتماد على مقتضيات القومية والتاريخ ووحدة اللغة والمصالح والاماني والآمال ، واخذت الفكرة تكسب المؤيدين في مصر الا انها لم تكن مقبولة من كل الفئات (٨٥) . ومع تبلور الخطر الصهيوني في فلسطين اواخر العشرينات طرح الحوار حول الهوية القومية لمصر حيث نما اتجاهان واحد يتطور نحو الجامعة العربية والآخر ينادي بالجامعة الاسلامية وكان الاتجاهان متميزين ومختلطين ويتفقان في السعي لانتماء سياسي اشمل لمصر ، لان درء الخطر عن مصر لا يكفله الا الانتماء الى جامعة سياسية اعم : الدين او اللغة والعادات والتراث والارض . وفي مطلع الثلاثينات ظهر « حزب مصر الفتاة » وعرف باتجاه عربي منذ تكوينه وتضمن برنامجه هدفا عن تحالف مصر مع الدول العربية (٨٦) . وتوضح الاهتمام المصري الحقيقي بالحركة العربية بعد توقيع معاهدة ١٩٣٦ التي اعطت مصر حرية نسبية في سياستها الخارجية ، فاتجهت بانظارها مجددا الى المنطقة العربية المحيطة بها لتعمل على تعزيز علاقاتها وعلى دعم الوحدة العربية واستقلال العرب . وكان لجمعية « الاتحاد العربي » و « الوحدة العربية » اثر في تنمية الوعي ، كما ان الصحافة المصرية بوجه عام كرست نفسها لهذه المهمة . واخذ الزعماء العرب يتطلعون الى مصر كموجه للعمل القومي وكملجأ للحركات الثورية ، ويأملون في امكان مساعدة مصر لقضاياهم الوطنية وخاصة قضية فلسطين (٨٧) .

وبخلاف معظم بلدان المشرق العربي التي وقعت تحت السيطرة البريطانية ، فرضت ثلاث دول كبرى سيطرتها على ليبيا وتونس والجزائر ومراكش ، وبفعل التجزئة السياسية والتأثيرات الاجنبية المتغايرة والنضال من اجل الاستقلال الذاتي الاقليمي اصطبغت الحركات النضالية فيها بالصبغة الوطنية كثر مما كانت قومية بالمعنى الواسع (٨٨) . كما اقيم حاجز يمنع تسرب الافكار السياسية وحركات الاصلاح من بلدان المشرق العربي ، واخذت السيطرة الاجنبية في هذه الاجزاء العربية طابع استعمار استيطاني يهدد الارض العربية والمؤسسات التقليدية ومركز اللغة العربية ، واستنفذ السعي لمواجهة هذه الاخطار جهود عرب شمال افريقيا وابعدهم الى حين عن الاسهام في بناء الفكر القومي (٨٩) . ومنذ اواخر العشرينات اخذت روح الحركة العربية تنتشر في بلدان المغرب العربي عن طريق الكتب والصحافة والطلاب الذين تخرجوا من معاهد مصر او سورية او الذين تعرفوا في أوروبا برفاقهم في المشرق العربي او عن طريق اسفار الحجاج ايضا . وكان لذلك اثره على مجرى الحركات

الوطنية في اقطار المغرب العربي . ولعب شكيب ارسلان دورا كبيرا في انتشار الافكار الحدودية العربية في تلك الاقطار منذ ان عين في جنيف على رأس الوفد الدائم للجنة السورية الفلسطينية التي تشكلت بالقاهرة ١٩٢١ . ووطد ارسلان صلاته الوثيقة مع زعماء الحركات القومية في المغرب ، كعبد العزيز الثعالبي زعيم الحركة الدستورية في تونس ، ومصالي الحاج رئيس جمعية « نجم شمال افريقية » ، وحاول تقريب الشقة بين « نجم شمال افريقية » وبين « العلماء الاصلاحيين الجزائريين » ، كما كانت له صلاته مع المجموعات القومية الاولى في المغرب الاقصى التي قامت ضد « الظهير البربري » ، واصبح مرشد اعضاء « لجنة العمل المغربية » (٩٠) . ولم يقتصر دور شكيب ارسلان على تشجيع الوطنيين المحليين في المغرب ، بل كان فعلا الصلة بينهم وبين التيار العام للحركة القومية العربية في المشرق (٩١) . وشارك نواب من المغرب في المؤتمرات التي عقدت في جنيف (ايلول ١٩٣٠) وفي القدس (كانون اول ١٩٣١) وفي القاهرة (اكتوبر ١٩٣٨) . وكانت معركة المغرب الحقيقية هي معركة اللغة العربية ، فقد ألح الاستعمار الحاحا غربيا ومربيا على استئصال شافة اللغة (٩٢) ، ولذا كان هم الزعامات الوطنية في اقطار المغرب العربي ربط الصلة بين اقطارهم وبين البلاد العربية الاخرى لمواجهة سياسة التذويب القومي .

ولعبت قضية فلسطين دورا هاما في الفترة بين الحربين كعامل تجمع قومي واسهمت في بلورة المشاعر القومية في الوطن العربي ، وفي دفعه نحو الوحدة . وكان ذلك استمرارا لما شغلته القضية الفلسطينية منذ البداية في اذهان الامة العربية نظرا للمكانة التي تحتلها فلسطين في قلب الوطن العربي بوجودها الجغرافي وتراثها التاريخي ولان الاطماع الصهيونية جاءت تحديا مباشرا للفكرة العربية وحاجزا في وجه الوحدة ، بل وقاعدة اساسية لترسيخ التجزئة في المنطقة العربية . وخلال ثورات فلسطين المستمرة لم تفتقر الدعوة للعروبة ، وعبر عرب فلسطين عن ان نضالهم ضد انشاء الوطن القومي اليهودي ليس مجرد نضال محلي وانما هو موقف عام ضد الصهيونية التي تهدد الوطن العربي ككل ، وان وحدة فلسطين مع جاراتها العربية هي الهدف الابعد للنضال ضد البريطانيين والصهيونية ، وان بوسعهم بمساعدة العرب ان يقاوموا بنجاح اكبر . والتقت الحركة الوطنية في فلسطين مع القوى الوطنية العربية التي كانت تعمل على تحرير بلادها من الوجود الاجنبي حيث تعتبر الصهيونية اخطر اشكاله في المنطقة (٩٣) . واثارت احداث الثورات العربية المجاورة اهتماما عاما في فلسطين وبالمقابل اثارت احداث فلسطين وانتفاضاتها اهتماما عربيا عاما ، وكان لاعتداء الصهيونيين على حائط البراق ١٩٢٩ صدى واسع خارج فلسطين فقامت المظاهرات ونظمت حملة لجمع التبرعات . واثمرت جهود الحركة الوطنية لاثارة اهتمام العالمين الاسلامي والعربي بقضية فلسطين الى عقد

مؤتمر اسلامي عالمي في القدس في كانون اول ١٩٣١ تقرر فيه اعلان خطورة قضية فلسطين واستنكار السياسة البريطانية الاستعمارية والصهيونية فيها وتشكيل شركة اسلامية كبرى لانتقاذ اراضيها وارسال وفود الى البلاد الاسلامية لجمع التبرعات (٩٤) ، وكان عبد العزيز الثعالبي ، وهو همزة الوصل بين مغرب الوطن العربي وشرقيه ، احد الاقطاب الذين قاموا بالتحضير للمؤتمر ووضع نظامه والسهر على نجاحه .

واتفق بعض رجال « الرعيل الاول » من الحركة القومية العربية المتواجدين في القدس خلال المؤتمر الاسلامي على « ميثاق عربي » يؤكد وحدة البلاد العربية وتكاملها ورفض التقسيم المصطنع لاقاليهما وضرورة العمل على تكريس الجهود لتحقيق هدي الاستقلال والوحدة ورفض الاستعمار بكل صوره ومواجهته بكل وسيلة (٩٥) . وفي تموز ١٩٣٢ تشكل في فلسطين « حزب الاستقلال » واتفق منهج الحزب مع « الميثاق العربي » على وحدة عربية وانكار للتجزئة . وشجب بيان الحزب كل المحاولات التي تتناول تحطيم الامة العربية . « ونظرا لان للامة العربية في مختلف اقطارها غاية مقدسة عليا هي الاستقلال والوحدة والتخلص من اي سيطرة اجنبية مباشرة او غير مباشرة والوقوف موقف الحزم في وجه الغزوة الصهيونية ، ولذا فانها لن تقبل اي مشروع او تدبير يتعلق ببلادها الا اذا كان صادرا عنها ومتفقا مع غاياتها وامانيها ، وتستنكر كل دسياسة تؤدي الى وقوع الفتنة في أي قطر من الاقطار العربية او توسيع شقة الخلاف بين قادتها لان ذلك يؤدي الى ترسيخ سيطرة الاجنبي فيها وعرقلة وصول الامة العربية الى غايتها المقدسة » (٩٦) . وكان « حزب الاستقلال » يرقب تطور الاوضاع في الاقطار العربية باهتمام ويبدى رايه فيها باعتبار ان القضية العربية في فلسطين جزء من القضية العربية العامة (٩٧) .

وقد زاد الاهتمام العربي بتطور الاوضاع في فلسطين مع تزايد الوجود الصهيوني بعد عام ١٩٣٣ ، الى درجة تثير القلق بالنسبة لمستقبل العرب فيها ، وتأسس في دمشق « المكتب العربي للدعاية والنشر » من أجل خدمة القضية العربية العامة بما فيها قضية فلسطين (٩٨) ، وعقد في نابلس مؤتمر كبير ١٩٣٥ بمناسبة ذكرى تصريح بلفور نال تأييد الوطن العربي ومشاركته وعبرت قرارات الاجتماع عن عطف العالمين العربي والاسلامي (٩٩) .

وكانت ثورة ١٩٣٦ اخطر تعبير عن القلق العربي تبدى حتى الان ، واسهمت في دفع قضية الوحدة ، لما اكدته من ردود الفعل الشعبية المتعاطفة في الاقطار العربية المجاورة ، وبدأت الجمعيات والمنظمات في كل مكان حملة نشطة لتعبئة الدعم الشعبي

لعرب فلسطين ، واتخذ العطف شكل مظاهرات احتجاجية واضرابات ونداءات في جميع أنحاء المنطقة العربية ، وخرجت البلاد العربية الى موقف ايجابي بارسال المتطوعين للمشاركة في القتال الى جانب اخوتهم الفلسطينيين (١٠٠) . وكان اكثر ما لفت انظار « اللجنة الملكية للتحقيق » في فلسطين هو الطريقة التي اثارت بها أحداث ١٩٣٦ مشاعر العرب ضد الصهيونية والمدافعين عنها (١٠١) .

واعلن الحكام العرب رغم ما بينهم من خلافات ، عن استنكارهم للسياسة البريطانية في فلسطين ، فاصدروا تصريحات علنية تندد بالسياسة الاستعمارية وقاموا بالسعي مع بريطانية لاقرار تسوية سلمية ترضي مطالب عرب فلسطين (١٠٢) . وكان لمشروع التقسيم وانشاء « دولة يهودية » في فلسطين اثر بالغ في الوطن العربي شعوبا وحكومات ، فقامت المظاهرات واعلنت الهيئات والاحزاب استنكارها لانشاء دولة يهودية ، ووردت الى اللجنة العربية العليا في القدس بقرارات الاستنكار من انحاء الوطن العربي بما فيه المغرب . وقدمت الحكومات العربية احتجاجاتها الى الحكومة البريطانية ، وكان لممثلي العراق ومصر مواقف قوية امام عصبة الامم ضد مشروع التقسيم ودفاعا عن حقوق العرب في فلسطين (١٠٣) . وشبه كثير من زعماء الحركة الوطنية في فلسطين « قضية فلسطين بالمحرك الكهربائي للاقطار العربية والمكثف لكهربائها » (١٠٤) .

ونظمت لجنة الدفاع عن فلسطين في دمشق « مؤتمر بلودان العربي » في ٨ ايلول ١٩٣٧ لتأكيد ارتباط مصلحة العرب العامة بما كان يجري في فلسطين (١٠٥) ، واختير لرئاسة المؤتمر ناجي السويدي (عراقي) ، ولنيابة الرئاسة محمد علي علوية (مصري) والامير شكيب ارسلان (سوري) والمطران حريكة مطران حماه (لبناني) ولامانة السر عزة دروزة (فلسطيني) . واكد الحاضرون ان فلسطين للعرب جميعهم وليست لاهلها فقط ، وهي صلة الوصل بين العرب في آسية وافريقية وليس على اهل فلسطين ان ينفردوا بالدفاع عنها او تقرير مصيرها لانها اذا انقطعت انفرد عقد العرب ، وانه لا بد من الوقوف صفا واحدا لمقاومة نشوء دولة يهودية وتنفيذ فكرة التقسيم . وتماهد المؤتمر ان يستمر في النضال في سبيل فلسطين الى ان يتم انقاذها وتحقق السيادة العربية (١٠٦) .

وكان لتجدد الاعمال الثورية في فلسطين اواخر ١٩٣٧ اثرا بالغا في الاقطار العربية على المستويين الشعبي والرسمي فتشكلت لجان للجهاد والدفاع عن فلسطين في كل من سورية ولبنان والعراق ومصر . واحتج المجلسان النيابيان في العراق ومصر لدى بريطانية على اعمالها الوحشية ضد عرب فلسطين وطالبا بحل عادل .

ودعت اللجنة البرلمانية المصرية الى مؤتمر برلماني عربي عقد في القاهرة في تشرين ثاني ١٩٣٨) حضره نواب وشيوخ من البلاد العربية يمثلون مختلف الاحزاب ، قررو التمسك بابقاء فلسطين قطرا عربيا . وتبع المؤتمر البرلماني « المؤتمر النسائي العربي » الذي حذا حذو المؤتمر البرلماني في قراراته (١٠٧) .

وقد ادركت بريطانيا ثقل ردود الفعل العربية المجاورة في وضع عالمي خطر واضطرت الى تغيير اسلوبها التقليدي الذي ظلت تتمسك به حتى منتصف الثلاثينات ، وهو عزل فلسطين عن التأثيرات العربية المجاورة وابقاء العرب خارج فلسطين غير مباينين بمصير اشقائهم فيها ، وتجلت مظاهر التحول بعد ترك وزير المستعمرات (اورمسيبي غور) منصبه ، وهو الذي كان يرى في قيام كيان يهودي في فلسطين اسفينا في قلب اي تجمع عربي اسلامي ضد الوجود الاجنبي في المنطقة (١٠٨) ، وقبلت بريطانيا تدخل الحكام العرب لدى شعب فلسطين لتهدة الامور ، ثم تخلت عن مشروع التقسيم وبدات في التفكير الجدي لايجاد تسوية للقضية الفلسطينية في اطار اتحاد عربي يسمح بقيام كيان يهودي منفصل . واتفقت المشروعات المقدمة على ان ارضاء تطلعات العرب نحو الوحدة قد يهدىء مخاوفهم من التسلط اليهودي على فلسطين ويزيل معارضتهم للهجرة اليهودية (١٠٩) .

وتخلت بريطانيا عن فكرة تسوية القضية الفلسطينية من خلال ايجاد اتحاد عربي ، رغم ان الفكرة ظل لها مؤيدوها داخل بعض الاوساط السياسية البريطانية التي أصبحت تنظر للقضية الفلسطينية والاتحاد العربي من خلال المجال الاوسع للعلاقات العربية البريطانية . وكان من اهم اسباب التراجع البريطاني خشية بريطانيا من قيام اي شكل من اشكال الوحدة العربية لانه سيؤدي الى دعم عربي اقوى للفلسطينيين ضد السياسة الصهيونية وبالتالي يضعف وجود بريطانيا في المنطقة (١١٠) .

وفي كانون اول ١٩٣٨ اعترفت الحكومة البريطانية رسميا بمصلحة البلدان العربية الاخرى في قضية فلسطين ، حين عبر وزير المستعمرات « مالكولم مكدونالد » عن استحالة الوصول الى اية تسوية لقضية فلسطين في عزلة عن جيرانها ، وافر تشمبرلن رئيس الوزارة بان فلسطين أصبحت قضية عربية (١١١) ، فاتبعت خطوة لاسترضاء العرب ، كانت ضرورة لتخفيف عدائهم وضمان المصالح البريطانية في المشرق العربي في وضع دولي متفجر . ووجهت الدعوة الى عدد من الحكومات العربية (مصر والعراق والاردن والعربية السعودية واليمن) لارسال مندوبين عنها على أعلى مستوى الى « مؤتمر المائدة المستديرة » في لندن شباط / فبراير ١٩٣٩ ، الذي

سيحضره ممثلون عن اللجنة العربية العليا في فلسطين . وباقتراح من اللجنة العربية العليا تبنى محمد محمود باشا رئيس الوزارة المصرية فكرة دعوة الوفود الى مصر للاجتماع والمداولة قبل السفر لوضع خطة مشتركة ، بحيث يجتمع ممثلو العرب على مائدة واحدة لبحث قضية فلسطين كفريق واحد بغض النظر عن نجاح المؤتمر او فشله (١١٢) . وكانت الاجتماعات التمهيدية للوفود العربية في القاهرة قبل المؤتمر اول اجتماعات رسمية على مستوى عال ، للتفاهم على الخطة التي ستسير عليها الوفود ، وتقرر تبني « الميثاق الفلسطيني العربي » وعدم الجلوس مع الوفد اليهودي كطرف ثان .

ودارت مناقشات المؤتمر في طريق ملتو ، وقبلت الحكومة البريطانية في النهاية وجهة نظر العرب في حل القضية ووافقت على مبدأ انهاء الانتداب وقيام دولة مستقلة في فلسطين ترتبط معها بمعاهدة بعد فترة انتقال عشر سنوات . ولم يوافق العرب على جعل احتمال تجديد فترة الانتقال تحت رحمة السياسة البريطانية والموافقة اليهودية ، فأدى ذلك الى انفضاض المؤتمر بدون اتفاق ، بعد ان دلت محاضر المؤتمر على الهوة التي تفصل وجهتي النظر العربية والبريطانية . واستكملت المشاورات بشأن المقترحات البريطانية بعد عودة الوفود العربية الى القاهرة ، ورغم ميل تلك الوفود للمقترحات ، خاصة بعد ان اسر لها مالكولم مكدونالد بانه يستحيل على الحكومة البريطانية ان تسير أبعد من ذلك لان الجو حافل بالسحب ، فقد شاعت النصيحة والتوسط لدى وفد فلسطين لقبول الاقتراحات دون ابداء الرأي (١١٣) . وقد تم الاتفاق على صيغة ابلغت للسفير البريطاني تتضمن ان الحكومات العربية ستصحح عرب فلسطين بقبول الخطة البريطانية اذا قدمت الحكومة البريطانية ضمانات لصالح القضية الفلسطينية ، ولكن الحكومة اهملت الصيغة العربية واصدرت حلا من جانب واحد (الكتاب الابيض مايو/ ايار ١٩٣٩) . وتكمن أهمية مؤتمر لندن ، رغم فشله في الوصول الى اتفاق ، في انه اتاح للوفود العربية فرصة لعقد صلات اوثق في مواجهة بريطانية ، وان يمثلوا رغم كل شيء ، جبهة موحدة حيال القضية الفلسطينية .

خاتمة :

يمكن القول ان التجزئة التي فرضها الاستعمار على الامة العربية ، حتمت على القوى العربية ان تناضل اولا وقبل كل شيء من اجل التخلص من الاستعمار المباشر ، الا انها ادركت ان تجزئة البلاد العربية هي اهم مظاهر الهيمنة الاستعمارية في هذه المنطقة وان الوطن العربي الموحد هو نقيض تلك الهيمنة ، فكان العمل من اجل الوحدة هو الهدف الثاني من اهداف الحركة القومية . ورغم ما تعرضت له هذه الحركة القومية من نكسات خلال فترة ما بين الحربين فقد استطاعت ان تفرض نفسها على جميع القوى الخارجية المتصارعة كعامل يحسب حسابه عند صياغة سياستها تجاه المنطقة ، ومن ثم فقد اكدت احدى المذكرات التي اعدتها الخارجية البريطانية في ايلول ١٩٣٩ ان حركة الوحدة العربية قد غدت ظاهرة لا يمكن تجاهلها بل وينبغي عدم مناصبتها المعناء .



الهوامش :

- (١) حازم ونسيه ، القومية العربية : فكرتها وتطورها ونشأتها ، ص ١٦ ، وهو ترجمة كتاب
The Ideas of Arab National movement, Ithaca, 1959
- (٢) حول تفاصيل القضية العربية يمكن مراجعة
Ziene, N. Z., Arab-Turkish relations and emergence of Arab Nationalism
Beirut, 1959
- (٣) Khadduri, M., Political trends in the Arab world , John Hopkins Press,
1970, pp. 14-16
- (٤) Dawn, C. E., The Rise of Arabism in Syria, Middle East Journal XVI 1962
Spring, p. 145
- (٥) الاعمال الكاملة لعبد الرحمن الكواكبي القاهرة الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر سنة ١٩٧٠
- (٦) Hourani, A., Arabic thought in the liberal age, Oxford University press
1970 pp. 271 - 73
- (٧) Réveil de la Nation Arabe أصدر عزوري عام ١٩٠٥ كتابا باللغة الفرنسية بعنوان :
Zeine, p. 93
- (٨) Dawn, p. 146
- (٩) خيرية قاسمية ، الحكومة العربية في دمشق ، ١٩١٨-١٩٢٠ ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ص ٢٢
- (١٠) Khadduri, p. 18
- (١١) Khadduri, p. 181
- (١٢) Hourani, pp. 200 - 300
- (١٣) وقد بدأ رشيد رضا في مجلة المنار (القاهرة) منذ عام ١٨٩٩ وحتى عام ١٩٢٢ بالدعوة الى نزعة
دينية ودعوة سياسية مستترة .
- (١٤) نسبه ص ٦٠
- (١٥) المصدر السابق ، ص ٥٧
- (١٦) طارق البشري ، مصر في اطار الحركة العربية ، مجلة المستقبل العربي تموز ١٩٧٨ ، ص ١٤

- Barbour, N., Variations of Arab National feeling in French North Africa, (17)
Middle East Journal (1954) - p. 30
- Hourani, p. 361 (18)
- (19) عبد العزيز الأهواني ، أزمة الوحدة العربية بيروت ، ١٩٧٢ ، ص ٢٤-٢٥
- (20) جوليان ، شارل أندري ، أفريقيا الشمالية تسير : القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية
ص ٢٤-٢٥ مترجم - تونس ١٩٧٦ عن كتاب
Julien, C. A., L'Afrique du Nord en marche
- Khadduri, p. 20 (21)
- Hourani, p. 290 (22)
- (23) وليد قزيبا ، القومية العربية في مرحلة ما بين الحربين العالميتين ، مجلة المستقبل العربي ، يناير
١٩٧٩ ، ص ٥٩
- (24) تشايلدرز ، ارسكين ، الحقيقة عن العالم العربي ، ص ٧٢ مترجم عن كتاب :
Childers, E. Common Sense about the Arab World
- (25) حازم نسيبه ، بحث الثورة العربية الكبرى ومستقبل العمل القومي في كتاب :
دراسات في الثورة العربية الكبرى ، مجموعة من المؤلفين ، عمان ١٩٦٧ ، ص ٢٢٤
- Agwani, The United States and the Arab World, p. 9 (29)
- Hourani, p. 298 (20)
- (31) نسيبه ، ص ٧٠
- (32) انيس صايغ ، تلمة المستقبل ، مجلة المستقبل العربي ، نوفمبر ١٩٧٨
- (33) اسعد داغر ، مذكراتي على هامش القضية العربية ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٧
- Agwani, p. 15 (24)
- (35) داغر ، ص ٧
- (36) عبد الكريم غرايه ، الثورة العربية الكبرى والعالم العربي ١٩١٨-١٩٢٥ ، ص ١٠٢ بحث في كتاب
دراسات في الثورة العربية الكبرى مصدر سابق ، ص ١٠٢
- (37) قزيبا ، ص ٥٩
- Hourani, p. 298 (38)

- (٢٩) غرايبه ، ص ١٤٣
 وقد أسس خالد بن الهاشمي بن عبد المقادر كتلة المنتخبين المسلمين الجزائريين وأصدر بالتعاون مع الشيوعيين الجزائريين جريدة في باريس ١٩٢٤ وشكل معهم لجنة الدفاع عن شمال إفريقيا ، كذلك أسس الثعالبى حزب الدستور التونسي .
- (٣٠) Hourani, pp. 362 - 363
- (٣١) غرايبه ، ص ١٠٢
- (٣٢) ساطع الحصري ، مقدمة كتاب العروبة أولا ، بيروت ، ١٩٥٥
- (٣٣) Hourani, pp. 292-93
- (٣٤) Longrigg H. S. Syria and Lebanon under French Mandate Oxford 1958 p. 108
- (٣٥) Siegman, H. Arab Unity and disunity , Middle East Journal 16, 1962, pp. 48 - 49
- (٣٦) Agwani, p. 18
- (٣٧) ساطع الحصري ، الاقليمية جذورها وبلورها ، بيروت ١٩٦٣ ، ص ١٢-١٣
- (٣٨) تشايلدرز ص ٨٤
- (٣٩) المصدر السابق ، من أمثلة الخلافات الخلاف السعودي الهاشمي ، الذي بدأ ١٩١٦ واستمر حتى ١٩٣٦ والحرب اليمنية السعودية ١٩٣٤ .
- (٤٠) Morrison, Arab Nationalism and Islam Middle East Journal, 2, 1948, pp. 150 - 152
- (٤١) بيان المؤتمر النازي لمصبة العمل القومي المنعقد في فرانكفورت (البنان) ١٩٣٣ ، ص ٣
- (٤٢) الاهواني ، ص ١٢٤
- (٤٣) جوليان ، افريقية تسيير ، ص ٢٩
- (٤٤) الاهواني ، ص ١١٨
- (٤٥) Hourani, p. 292
- (٤٦) صايغ ، كلمة المستقبل العربي ، نوفمبر ١٩٧٨ .
- (٤٧) الاهواني ، ص ٧٦-٧٢
- (٤٨) Hourani, pp. 293 - 294

Ibid, p. 307

(٥٨)

(٥٩) غرايبه ، ص ١٠٢

(٦٠) غزة دروزة ، القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ، الجزء الأول صيدا ١٩٥٩ ملحق ه « نص البيان المذاع عن المؤتمر العربي القومي في ١٣/١٢/١٩٣١ ».

(٦١) حول المؤتمر العربي الاول : انظر المصدر السابق ص ٨٧ وداغر ص ١٨٦-١٩٤

Khadduri, p. 176

(٦٢)

نقلا من الريحاني، أمين، القوميات، بيروت ١٩٥٦، جزء ٢، ص ٨٥-٨٦، ٨٧-٨٨، ١٤٢-١٤٦.

(٦٣) قسطنطين زريق ، الوعي القومي نظرات في الحياة القومية المتفتحة في الشرق العربي ، بيروت ١٩٣٩ ص ٦ - ٨.

(٦٤) قرنها ص ٦١ - ٦٢

(٦٥) نسبية ص ٨١

(٦٦) الحمري ، دفاع عن العروبة ، بيروت ١٩٥٦ بحث « نظرات الى تاريخ الامة العربية » حول القومية العربية بيروت ١٩٦١ بحث « وعود الى مسألة من هو العربي ».

(٦٧) قرنها ، ص ٦٠

(٦٨) جاء في مقدمة كتاب آراء واحاديث في القومية العربية ، القاهرة ١٩٥١ « ما ساعد الامم التي حققت وحدتها العربية واستكملت شخصيتها السياسية للاستطاعت ان تجعل حدودها الدولية منطبقة على حدودها القومية ».

(٦٩) من رسالة الى طه حسين نشرت في مجلة « الرسالة » (القاهرة) ١٩٣٨.

(٧٠) الحمري ، آراء واحاديث في القومية العربية بحث « التيارات الفكرية حول القومية العربية ، حديث عن الصراع بين القومية والاقليمية » وبحث « مصر والعروبة : رد على بعض المصريين المعترضين على فكرة الوحدة العربية ».

Hourani, p. 316

(٧١)

(٧٢) زريق ، ص ١١٢ - ١١٤

Khadduri, p. 22

(٧٣)

Hourani, p. 294

(٧٤)

(٧٥) داغر: ص ٨ - ٩

وكان فيصل قد تعهد قبل اعتلائه العرش ان يقصر جهوده على العراق ويمتنع عن اي نشاط معاد لبريطانية انظر:

Goma'a, A., The foundation of the League of Arab States, London, 1977, p. 5

نقلا عن

F.O. 371/16355, memorandum on British attitude towards Arab Unity, June 1933

Khadduri, M. Independent Iraq, London, 2nd ed. 1966, p. 162 (٧٦)

(٧٧) داغر، ص ٩

(٧٨) المصدر السابق ١٨٦ - ١٩٤ بشأن المساعي المختلفة لاعداد المؤتمر العربي وفشلها.

Goma'a, p. 7 (٧٩)

نقلا عن الوثيقة السابقة رقم F.O. 371/16855 المذكورة في حاشية (٧٥)

Hourani, p. 295 (٨٠)

وقد وضع رشيد رضا كتابا بعنوان «الوهابيون والحجاز» القاهرة ١٩٢٥-١٩٢٦

(٨١) داغر، ص ١٩٩

Khadduri, Independent Iraq, p. 166-167 (٨٢)

A. G., Egyptian attitudes towards pan-Arabism, Middle East Journal, XI 1957, Summer pp. 253 - 56 (٨٣)

Cheine

(٨٤) داغر ص ٩ ، وكان ساطع الحصري قد كتب في جريدة البلاد في بغداد ١٩٣٦/٤/١٩ مقالا عنوانه «دور مصر في النهضة القومية العربية» تضمن افكارا مماثلة.

Cheine, p. 258 (٨٥)

(٨٦) طارق البشري، ص ١٤ - ١٦

Hourani, p. 295 (٨٧)

Barbour, p. 319 (٨٨)

Hourani, pp. 361 - 62 (٨٩)

(٩٠) جوليان ، أفريقيا تسيير ، ص ٣٢-٣٤ وكان ارسلان ينشر مجلة (الامة العربية) باللغة الفرنسية ولها انتشار واسع في العالم الاسلامي بين النخبة المثقفة .

Hourani, p. 306

(٩١)

(٩٢) عبد العزيز الثعالبي ، تونس الشهيدة ، بيروت ١٩٧٥ ، ص ٥٨ ، ٦١ مترجم عن الفرنسية :
La Tunisie martyre, Paris, 1925

(٩٣) اميل الغوري ، فلسطين عبر ستين عاما ، بيروت ١٩٧٩ ، جزء ١ ص ٧٦

(٩٤) دروزه ، ص ٧٩ - ٨٦

(٩٥) عوني عبد الهادي، اوراق خاصة (اعداد خيرية قاسمية)، بيروت ١٩٧٤ . وقد عقد الاجتماع في داره ، نص البيان والميثاق ، دروزه ملحق ٥ ، ص ٣٠٦ .

(٩٦) دروزه ، ملحق ٦ ص ٣٠٩ ، وعوني عبد الهادي، ص ٦٦-٦٧ وكانت مسودة بيان حزب الاستقلال قد وضعت بخط يده .

(٩٧) زعيتر ، اكرم ، وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩١٨-١٩٣٩ اعداد بيان نويهض الحوت ، بيروت ١٩٧٩ وثيقة ١٨١ (١٩٣٢/٩/٥) ، ١٨٧ (١٩٣٢/١/١٦) ، ١٩٣ (١٩٣٢/٥/١٦) ، ١٩٥ (١٩٣٢/٩/٢) (١٩٣٢/٩/٢)

(٩٨) المصدر السابق وثيقة ٢٠٤ (١٩٣٤)

(٩٩) المصدر السابق ، وثائق ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ (نوفمبر ١٩٣٥)

(١٠٠) يوسف هيكل ، القضية الفلسطينية ، تحليل ونقد ، يافا ١٩٣٨ من مقدمة محمد حسين هيكل

(١٠١) Report of the Royal Commission (Peel) Cmd. 5479, HMSO, London, July 1937, p. 67

(١٠٢) نداء الحكام العرب لوقف اعمال الثورة ، واستجابة اللجنة العربية العليا ، انظر زعيتر ، وثيقة ٢٦٢ (١٩٣٦/١٠/١١) ، و ٢٦٥ (١٩٣٦/١٠/١٢)

(١٠٣) عوني عبد الهادي ص ٩١

(١٠٤) دروزه ص ١٦٨

Hourani, p. 293

(١٠٥)

(١٠٦) وقائع جلسات المؤتمر وقراراته صادر عن المكتب العربي للدعاية والنشر دمشق ايلول ١٩٣٧

(١٠٧) زعيتير ، وثيقة ٢٢٦ (١١/١٠/١٩٣٨ عن قرارات المؤتمر البرلماني العربي ووثيقة ٢٢٧ (١٥ - ١٨/١٠/١٩٣٨) عن قرارات المؤتمر النسائي العربي

Goma'a, p. 9

(١٠٨)

نقلا عن الوثيقة البريطانية رقم F. O. 371/21862 بتاريخ ١٩٣٨/١١/٩ (رسالة الى تشمبرلن)

(١٠٩) من المشاريع المقدمة مشروع هربرت صموئيل ونوري السعيد ، والامير عبد الله انظر :

Goma'a, pp. 11-13

(١١٠) Ibid, pp. 13-14 نقلا عن الوثيقة البريطانية رقم F.O. 371/20806

(رسالة لامبسون السفير البريطاني في القاهرة)

(١١١) Ibid, p. 9 نقلا عن الوثيقة البريطانية رقم F.O. 371/21865

(وقائع الجلسة الاولى للجنة الوزارية بشأن فلسطين)

(١١٢) عوني عبد الهادي ، ص ١٠٧-١٠٨ مراسلات بين عوني عبد الهادي (القاهرة) وعزة دروزة (دمشق)

(١١٣) المصدر السابق ص ١١٦ ، وكان هو من المؤيدين لقبول المقترحات البريطانية .

